

أنتَ تسأل و(الدِّينُ) يُجيب

البلاغ

www.balagh.com

مقابلة صحفية مع الدِّين الإسلامي هذا حوارٌ مفتوحٌ بين طائفة من الشُّبان وبين صاحب السعادة والسيادة الدِّين الإسلامي الحنيف، الهدف منه استيضاح الدِّين في بعض ما غمضَ على الشُّبان أو التبسَ عليهم. - س1: ما دام ا[] غنيًّا عنَّا، وغير محتاج إلينا، فلماذا خلقنا إذن؟ (الدِّين): يجب أن تعرفوا شيئاً مهماً عن ا[] - أيها الشُّبان - إنَّه (كامل) والكامل لا ينقصه ولا يعوزه شيء، ولذلك هو ليس مفتقر لأحد لا للبشر ولا للملائكة ولا لأيٍّ مخلوق. ثمَّ أنَّ ا[] (حكيم) لا يخلق شيئاً عبثاً، أو لـعباً، أو سُدىً. كلُّ شيء يخلقه فإنَّ له هدفاً وغاية من وراء خلقه، ولقد خلقكم لا ليسدَّ بكم نقصاً، بل لتبحثوا عن الكمال فتصلوا إليه لأنَّكم ناقصون. كيف تتكاملون؟ بالعبادة.. أي العبودية ا[] وليس فقط بأداء المراسم والمناسك اليومية. أمَّا لماذا لم يخلقكم كاملين؟ فلأنَّه لا يريد كمالاً إجباريًّا، بل يريده كمالاً يأتي عن طريق الاختيار والعمل والجدِّ والاجتهاد، فالأوَّل ليس فيه فضل لأنَّه (جاهز).. أمَّا الكمال الثاني فهو الكمال الذي يحقُّ التمايز بين (التلميذ المجدِّ) وبين (التلميذ الإِتِّـكاليّ)(1). دعوني أسأل السائل: أنتَ متى تُسأل عن العمل لماذا عملته؟ عندما تعمل عمل الخير أو عندما تعمل عمل الشرِّ؟ بالتأكيد عندما تعمل عمل الشرِّ، فعمل الخير هو ما ينبغي أن تفعله لأنَّه ينسجم مع تكوينك وذوقك وعقلك وأخلاقك وفطرتك. وكذلك ا[] تعالى فإنَّه لا يُسأل عن عملٍ جليلٍ كخلق الإنسان لأنَّه الخير، فالوجود أفضل من عدم الوجود، علاوة على أنَّ ا[] خلقك (للبقاء).. فحياتك في الدُّنيا

مؤقتة وحياتك الأفضل والأجمل والأكمل في الآخرة.. هل عرفت الآن لماذا خلقك الله؟! - س 2: على ضوء إجابتك عن سؤال زميلي، ألا تعتبر العبادة نسياناً لنفسي وتغريباً عن ذاتي؟ (الدّرين): على العكس تماماً، فنسيان الله هو السبب في نسيان النفس. أما سمعت الله تعالى يقول: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنَسَاهُمُ أَنْزَفُسَهُمْ) (الحشر/ 19). لأن نسيان الله والغفلة عنه استغرق في الملذّات والشّهوات الدنيوية التي تجعلك كالحيوان الذي همّه علفه، وأمّا أنت فقد زوّدتك الله بقدرات ولياقات تسمو بها على جميع مخلوقاته، فإذا نسيت الله سقطت في وحلٍ من البؤس والتعاسة، والأمثلة أمامكم كثيرة، فتفكّروا في أولئك الذين (نسوا الله) وعاشوا التّسليه والضّياع والقلق والكآبة والشّقاء. إنّ ارتباطك بالله يزيد في عملك ومعرفتك وأخلاقك وأعمالك الخيرية، وتذوّقك للجمال وللطيّبات الخالصة من كلّ ضرر ومرض وخطر، فكلّما تعلّقت به أكثر تكاملت أكثر.. وبأن معدنك الأصيل أكثر.. إسألوا العباد الصّالحين.. سيقولون لكم: عبادة الله كانت سبباً في تكامل علومنا ومعارفنا، وفي السيطرة على ضعفنا وغرائزنا وهوائنا، وفي تربية الفضائل في نفوسنا، وفي إدخال الهدوء والسرور والسكينة عليها. - س 3: كيف يمكنني أن أتمسّك بك، وبعضك مستور، وخفيّ وغير ظاهر بالنسبة لي؟ كيف أوّمن بشيء لا أحسّ به.. ولا أستطيع أن أخضعه للتجربة؟ (الدّرين): لا بدّ لك - لكي تحصل على إجابة شافية - أن تعرف بأنّك - أي أنت - الإنسان - محدود، وأنّ حواسّك لها (مدى) أو (قابليّة) معيّنة لا نخرقها أو نتجاوزها، فحتّى (زرقاء اليمامة) التي تضربون المثل بقدرتها على الرؤية، لا ترى إلا ضمن مدى معيّن.. ألا ترى أنّك لا ترى الكثير من الأشياء الصغيرة المتناهية في الصّغر؟ لماذا تستعينون بـ(الميكروسكوب) و(التلسكوب) لترون الصغير الذي لا ترونه بأعينكم، والبعيد الذي لا تصل إليه أبصاركم؟ وكما هو حال حواسّك، كذلك عقلك، ألا تقول لشئ لا تُصدّقُه: هذا غير معقول، وقد يكون واقعاً، وصدقاً، وحقّاً، ولكنّ عقلك لا يصل إلى فهمه. (عالم الغيب).. المستورات.. المخفيّات.. كالموجودات التي لا تستطيع أن تراها بالعين المجرّدة، أو العقل المجرّد، فلماذا تصدّق بما يقوله (رحالة) زار أحد البلدان وكتب عنه وعن أهله وطبائعهم وأخلاقهم، وأنت لم تذهب معه إلى هناك، ولا تُصدّق الله الذي لا يكذب إطلاقاً، ونبوّه المشهور بالصّدق، حتى أن أحداً لم يمسه عليه كذبة واحدة، عندما يُحدّثونك عن الملائكة وعن الجنّ والنّار والأسرار الأخرى؟ تقول إنّك لا تستطيع أن تؤمن بشيء لم تجرّب به.. أنا أقول لك أنّك جرّبت كثيراً ولكنك تنسى أحياناً.. أليس تطلبُ من الله العون والمدد والمساندة والإسعاف في المصاعب الشديدة، رغم أنّك كنت على تأهّب واستعداد.. فلماذا تتّجه إلى الله دائماً طالباً منه أن يوفّقك إلى ما لم تستطع أن تُحيط به أو تملكه أو يقع تحت يديك؟ أليس هذا هو الارتباط بالغيب الذي جرّبته في

(دعائك) وفي (استجابة) ا لك؟! - س 4: نحن في حيرة.. بعضنا يقول إنك كل شيء في حياتنا، وبعضنا يقول إن لك دوراً في حياتنا، ولكنّه ليس أساسياً.. والبعض لا يعترف بدورك في الحياة إطلاقاً، هل لك أن تُبيِّن لنا دورك في حياتنا؟ (الدِّين): لك أن تعرف موقعي في حياتك من خلال (مهمّتي) التي كُلفْتُ بها.. فأنا مسؤول أن أحقّق لك جوّاً من الانسجام المريح والسعيد بين (تفكيرك) وبين (سلوكك) وبين القوانين التي وضعها الله للحياة. ودوري هو إيجاد (التوازن) في الحياة.. أن أعلّمكم كيف تكونون وسطيّين بعيداً عن أيّ تطرّف.. دوري إذن تربويّ أخلاقيّ ينقل أحدكم من درجة الإنسان غير المنتمي: الضّائع، التائه، المتخبّط، المتذبذب، إلى درجة الإنسان المنتمي: الذي يعرف من أين جاء، وفي أيّ طريق يسير، وإلى أيّ هدف يتّجه. أنا (الدِّين) دليله الذي يأخذ بيد عقله، ويد قلبه، ويد حياته إلى شاطئ الأمان. قارن بين (إنسان غير متديّن) وآخر متديّن تديّناً صحيحاً لتعرف أين موقعي من خارطة الحياة؟! - س 5: كيف أعتبر نفسي حرّاً مع وجودك وفي حضرتك.. أنت تُقيّد لي بعض اختياراتي وتُحدّد لي بعض قراراتي.. المتديّن ليس حرّاً.. أنت تصنع له قيوداً وحدوداً.. فكيف ينطلق؟ (الدِّين): لو نظرت في نفسك جيّداً، لرأيت أنّك (مُختار).. أي تحت يديك الخيارات كلّها، ولو لم تكن مختاراً لما كنت إنساناً، فأنت المخلوق الوحيد الذي وضع الله تعالى الاختيارات بين يديه. أنت تختار الطعام الذي تشتهي.. والملابس التي تُريد وتنتخب، والسيارة التي تركب، والبيت الذي تسكن، والزوجة التي تُعاشر، والإختصاص الذي تدرس، والأصدقاء الذين تُصاحب، والقرار الذي تراه مناسباً.. أليس في ذلك حرّية وفي ذلك إرادة؟ أنت قد تختار الشيء السّلبيّ والضّارّ والفساد والأعوج والخَطِر، ولا أحد يمنعك أيضاً.. فكلّ شخص وما اختار.. وكلّ شخص مسؤول عن نتائج اختياراته.. فإذا اخترت أصدقاء السوء وانجرفت أو انحرفت فأنت لا غيرك المسؤول عن عواقب هذا الاختيار. حرّ يتّكّ كمّديّ (حرّية مسؤولية).. أنت مسؤول أمام الناس لأنّهم (يمدحونك) إذا عملت خيراً، و(يذمّونك) وينتقدونك إذا عملت شراً، ومسؤول أمام الله (يُثيبك) ويكافئك إذا عملت صالحاً، (يُعاقبك) إذا عملت سوءاً. بالحرّية أنت أصبحت إنساناً، ولو سُلّبت منك الحرّية والاختيار، لكنت حيواناً أبكماً، أو آلة صمّاء. أمّا (ممنوعاتي) فأنا لم أمنعك من شيء لك فيه (فائدة) أو (مصلحة) أو (سعادة) حتى ولو ظهر لك الأمر بخلاف ذلك.. كلّ ممنوعاتي.. كلّ محرّماتي لمصلحتك، ومَن يقول لك غير ذلك يغشّك.. ولا يعرفني! تذكر أيضاً.. أنني ما منعتك من شيء ولا حرمتك من شيء إلاّ وعوّضتك خيراً منه. - س 6: أنت تحكمنا حكماً تعسّفيّاً، وتقول إنّكم مُختارون.. وإنّكم أحرار.. فإذا كان (القضاء) و(القدر) والتدخل الإلهي في شؤون حياتنا هو الذي يحكمنا، فأين هي الحرّية التي تتحدّث عنها؟ (الدِّين): أعلّمك

طريقة سهلة وواضحة لتكتشف بها ومن خلالها ما إذا كُنْتَ مجبوراً ومُكرَهاً على فعلٍ أو عملٍ معيّنٍ أو لا. إنَّ كلَّ ما (استغفرتَ) اِ مِنْهُ فهو (منكَ).. وكل ما (حمدتَ) اِ عَلَيْهِ فهو (منه)، وإنَّ كلَّ ما استطعتَ أن (تلوم) شخصاً عليه فهو (منه)، وما لم تستطع أن تلوم الشخص عليه فهو (من فعل اِ). إنَّ اِ يقول لك: لِمَ عصيت؟ لِمَ فسقت؟ لِمَ أجرمت؟ لِمَ قتلْتَ؟ لِمَ زנית؟ لِمَ سرقت؟ لِمَ شربتَ الخمر؟ لِمَ ساعدتَ الظَّالم؟ لِمَ كذبتَ؟ فهذا ومثله من عملك الذي اخترته ولم يجبرك أحد عليه، بدليل أنَّ غيركَ عُرِضَ عليه فلم يفعلهُ، فهو مختار، وأنت مختار. إلّا أنَّ اِ تعالى لا يقول لك: لِمَ مَرَضْتَ؟ لِمَ ابيضضتَ (لونك أبيض)؟ لِمَ اسوددتَ (لونك أسود)؟ لِمَ قَصُرْتَ (قصير القامة)؟ لِمَ عَقمتَ (لم تلد)؟ لِمَ غَرَقْتَ؟ لِمَ مُتَّ بالزلزال؟.. لأنَّه من فعله. وبالتالي، فإذا فعلتَ الخير فإنَّ اِ أقدرَكَ عليه، وأمرَكَ بفعله، واستجبتَ لندائه، فهو (منك) و(منه).. منه (الحول والقوَّة) ومنك (الاختيار والاستجابة).. أمّا إذا فعلتَ الشرَّ، فإنَّه (منك) فقط، لأنَّك إن فعلته بقدره اِ (أي بما أعطاك من قابليَّات الفعل) إلّا أنَّه (نهاك) عنه، ولم يرضَ بصدوره عنكَ، إلّا أنَّك خالفتهُ واركتبتهُ فعصيتهُ بإرادتك، ولذلك تتحمَّل تبعات مخالفتك. س 7: إذا كنتَ لطيفاً وجميلاً ورائعاً إلى هذا الحدِّ، فلماذا ينفر منك الكثيرون؟ (الدِّين): أوَّلاً لستُ الوحيد اللطيف، الجميل، الرَّائع الذي ينفر الناس منه، ثمَّ أنَّ الناس أعداء ما جهلوا، ومَن لا يعرفك جيِّداً، لا يُقيِّمُكَ حقَّ التقييم؛ بل وقد يسيء تقديركَ. إنَّ البعض لا يهربون منِّي.. وإنما يهربون وينفرون ممَّن يتسمَّون بإسمي وليس لهم منِّي شيء.. إنَّ الشخص الذي إسمه (صادق) ويكذب لا يحمل من الصِّدق إلّا اسمه، وليس الذَّنْب في كذبه ذنب الصِّدق بل ذنبه هو. والبعض ينفرون منِّي لأنَّهم يصطدمون بالذين يشدُّ دون على (ما سهَّلت) ويسرَّت، ويعقُّ دون ما هوَّنت وخفَّفت، والبعض يسألون عمّا أجبت عنه، أو لديَّ الإجابة عنه، لكن المسؤول لا يعطيهم الجواب الشافي، والبعض يؤيِّسون الناس من رحمة اِ التي جعلها فيَّ، والبعض يعوزه الأسلوب المهدِّب والطريقة اللطيفة والموعظة الحسنة فيضيِّق بالناس فيضيِّقون بي. ولذلك: اعرفوا (الدِّين) حتى تعرفوا (المتديِّنين). ولا تحكموا على كلِّ ما يصدر عن المتديِّنين أنَّه منِّي إلّا إذا كان يوافقني، فما أكثر ما يُقال أنَّه دين وهو ليس منِّي بشيء. - س 8: كيف إذن الطريق إلى فهمك فهماً صحيحاً، وكيف يتسنَّى لنا أن نحصل على ثقافتك الأصليَّة؟ (الدِّين): حتَّى تفهمني فهماً سليماً، وتعيّني وعيًّا عميقاً، خُذني من مصادري الأساسيَّة (القرآن والسنة)، ولا مانع من أن تطَّلِع عليَّ من خلال كتابات ومنظرات ودراسات وتوجيهات العلماء والفقهاء كي تحصل على الثقافة الدينيَّة التي تُفسِّر لك (العقيدة) وتوضِّح لك أحكام (الشريعة)، وتُبيِّن لك آداب وأخلاق الإسلام.. وتعالج لك شكوكك، وتجيبك على أسئلتك. إقرأ

التأريخ بوعي.. إدرسهُ بعناية، لتعرف كيف صنعتُ بأتباعي، وكيف ارتقوا إلى أعلى الدرجات، ولتتعرف على الطّغاة والمستكبرين الذين حاربوني وحاربوا أتباعي، فلهم أشباه في كلّ زمان ومكان. - س 9: في هذه الأجواء المتلبّدة، المليئة بالمتناقضات والمعاصي والانحراف والتحدّيات العاصفة الكبيرة.. وفي ظلّ الغزو الثقافي الخطير الذي نتعرّض له في كلّ يوم ومن أكثر من مصدر.. هل بإمكانك أن تحمينا.. أن تحصّنا حتى لا يجرّفنا التيّار؟ (الدّين): عندما تكون مريضاً وتساءلني: ماذا تتوقّع لمستقبل صحتي؟ فأنا لا أستطيع أن أعطيك جواباً يرضيك.. ولكنك إذا ذهبتَ إلى الطبيب وشرحتَ له حالتك وشخّصَ علّتك ووصف لك الدواء وقدّم لك التوصيات اللازمة، وأخذت بما قال، عندها أستطيع أن أتنبأ بمستقبلك الصحي. التحدّيات ليست جديدة.. ولم تكن خفيفة ذات يوم.. فبقدر ما تشدّ يشدّ ساعد المؤمن المتديّن ويقوى دينه.. ويظهر جوره. إلجأوا إلى الله من خلال أوليائه العارفين به: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء / 7). انفتحوا على مَنْ يدلّكم على الطريق، واصطفوا مع (المتديّنين) لتبتعدوا عن الانحراف، فأنتم مع بعضكم البعض تكونون مجتمعاً متديّناً ولو مُصغّراً: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً) (الفرقان / 27-29). أمّا كيف تحصّنون أنفسكم ضدّ الغزو الثقافي والتيارات اللادينية، فبأن تؤصّلوا ثقافتكم (تعودون بها إلى أصولها الصحيحة التي لا تتعارض مع القرآن والسنة).. وأن تقوّوها بما تحت أيديكم من وسائل التقوية، وهي اليوم كثيرة، وعليكم أن تفهموا ثقافة الآخرين وأن تجروا مقارنة بينها وبين ثقافتكم الدينية، لتختاروا ما ينسجم مع ثقافتكم وترفضون ما يتعارض معها. - س 10: أحياناً تختصّر في جانب واحد فإذا كان كنت، وإذا لم يكن فكأنّك لم تكن، ففي ثقافتنا الدينية: "لا دين لمن لا عهد له"، وأحياناً تُنصّف إلى نصفين فيُقال: "مَنْ تزوّج فقد أحرز نصف دينه".. هل أنت فعلاً جانب واحد، وهل أنت فعلاً قابل للتنصيف؟ (الدّين): أنا كلٌّ متكاملٌ وغير قابل للتجزئة، ولكنّ بعض الأمور تمثّل أساسيات في فهمي واعتناقي، فالعهد هو أساس ارتباطك بي، لأنّ معنى أنك مسلم هو أنك عاهدت الله على العمل بدينه، فإذا نقضت العهد فما الذي يربطك بالله وببي، وما الذي يربطنا بك، ألم تقرأ قوله تعالى: (إِنَّ الْوَعْدَ كَانَ مَسْئُولا) (الإسراء / 34). فالإنسان الذي لا أمان له، ولا وعد له، ولا عهد الله، هو إنسان متحلّل، وأنا أرفض (التحلّل).. أنا مع (الإلتزام) ومع الملتزمين لأنّهم هم الذين يبنون الحياة. أمّا (الزواج)، فيعني أن تعيش الاكتفاء الجنسي والرضا النفسي فتشعر بالإطمئنان والراحة

والهدوء، لتتفرغ إلى ميادين حياتك الأخرى، فلا تشغلك الغريزة عنها، ولذلك فأنا أشجّع على الزواج المبكر لأنّه وقاية من المزالق، ألا ترون ما يؤدّي بكم تأثير الزواج أو الإعراض عنه لما هو غير مشروع؟ هل عرفت الآن لماذا جُعِلَ الزواج نصفياً؟ إنّ الزواج (سَكَن) و(رحمة) و(مودّة)، وإذا حاز الشاب على هذه المقومات استقامت حياته.. وهل أنا (كدين) غير الاستقامة؟! - س 11: يتهمونك بأنك دين (عُنف) و(دماء) و(سيف) و(قتل) و(إرهاب)، من أجل ذلك يحاربوننا بك.. هل أنت كما يصفونك؟ (الدّين): لا يهمدني ما يصفني به الآخرون.. المهم ما اعرفه عن نفسي.. فأنا شقيق الرّفق.. بل الرّفق أنا، فالذي يرفض إكراه الناس، والذي يحمّلك مسؤولية تحويل (الأعداء) إلى (أصدقاء) لا إلى إلغاء الآخر ومصادرته وتهميشه: (ادْفَعْ بِاللّٰتِي هِيَ أَرْحَمَ لَكَ فَإِذَا الّٰتِي بِذِيْكَ بِحَنُونٍ لَّدُنَّكَ وَبَيِّنْ لَهُ عَدَاوَةَ كَأَنَّهُ زُرٍّ مُّوَدٍّ وَلَيَّ حَمِيمٌ) (فصلت/ 34). والذي يُقدّم نموذجاً الأعلى (محمد بن عبد الله (ص)) للناس على أنّه الرحمة المُهداة إليهم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْفِلَافِ لَازِفَهُمْ أَفَرَأَيْتَ إِن كَانَ لَهُمُ الْآيَاتُ فَلَا يُوقِنُ أَنَّهَا لَهُمْ فَيَقُولُوا سَحَابٌ مّٰثِرٌ مُّثَرٌ فَلَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا جِثَّةٌ مِّنَ التُّرَابِ أَوْ يَفِئَّةٌ مِّنْ مَّاءٍ يَّافِقَةٍ أَوْ يَسْتَوِي سَحَابٌ مِّمَّنْ لَّآ فَايَافُكُمُ اللَّيْلُ وَمَا يَكُونُ لَهُمْ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا فِي هَٰؤُلَاءِ وَمَا يُبْطِلُ أَهْلَهُمُ إِلَّا فِي غَوَاةٍ) (الحجرات/ 7-8). هذا هو (قانون اللطف التكويني).. فإنّ الحكيم إذا أراد تحقيق أمر فإنّه يوفّر له جميع مستلزماته: (تحبيب) و(تزيين) للدّين، و(تكريه) للكفر والفسوق (عدم الطاعة) والعصيان (أي للادّين). أنتم مفطورون على (حبّ الدّين) و(كراهية الكفر والمعاصي). تسألونني: مَنْ هم الراشدون؟ أقول لكم: الذين قابلوا (التحبيب) بـ(الحبّ)، و(التزيين) بـ(التزيين) به. و(التكريه) بالنّفور والإعراض والصدود والإشاحة. هم الذين استقبلوا (الفضل) و(النّعمة) كما تستقبل شفاة الأرض الخصبة مياه المطر العذبة فتمتصّها، وترشّفها بكلّ مساماتها، لأنّها بها حياتها! ذلك (علم) بما تحتاجون إليه! وتلك (حكمة) فيما يصلحكم ويُسعدكم.. ويُقرّ بكم إلى الله أكثر، فإذا سألوكم عني فقولوا: "الدين هو الحب، والحب هو الدّين".

يُضربُ في هذا المجال، فلو أخذنا مالاً من شخص بالإكراه لبناء مستشفى، فهل لهذا العمل من أثر تكامليّ: روعي أو أخلاقي عليه؟ طبعاً لا. أمّا إذا أعطى المال بمحض إرادته وطيب نفسه لهذا الهدف النبيل، فإنّه يخطو في طريق التكامل بمقدار ما يُساهم فيه. وهذا هو الفرق بين (الكمال القسري) و(الكمال الاختياري).